مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 11/ العدد: 02- جوان (2025)

تاريخ الاستلام: 2025/02/25 تاريخ القبول: 2025/05/24 تاريخ النشر: 2025/06/01

الرؤية الجمالية في ضوء التحليل التداولي للخطاب المسرحي "مسرحية بابا قدور الطماع لرشيد القسنطيني أنموذجا"

ندى بوكعبن
boukaabene.neda@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي 1945-قالمة-/الجزائر

The aesthetic vision in light of the pragmatic analysis of theatrical discourse "The play Baba Kaddour the Greed by Rashid Al-Ksantini as an example"

Boukaabene neda
boukaabene.neda@univ-guelma.dz
University guelma 8 mai 1945/ Algeria

مُلخّص البحث

تسعى هذه الورقة البحثية إلى كشف الأبعاد التداولية في الخطاب المسرحي، انطلاقا من دراسة مدونة "بابا قدور الطماع" لرشيد القسنطيني"، بواسطة النظر في البعد التواصلي الوظيفي للحوار في المسرحية انطلاقا من تحليلات ومفاهيم تداولية كأفعال الكلام، والاستلزام الحواري لاستنباط أغراض الخطاب المسرحي، والتعرف على مقاصده.

يهدف هذا البحث إلى على قراءة النصوص المسّرحية الجزائرية قراءة تداولية مغايرة لما ألفه الدرس النقدي الجزائري من قراءات تاريخية، سيميائية، ثّقافيّة.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، التداولية، الاستلزام الحواري، الخطاب المسرحي، البعد التواصلي.

ABSTRACT:

This research paper seeks to reveal the pragmatic dimensions of theatrical discourse, based on a study of the blog "The Greedy Baba Kaddour" by Rachid Al-Ksantini, by looking at the functional communicative dimension of dialogue in the play based on analyzes and pragmatic concepts such as speech acts, and the dialogic obligation to deduce the purposes of theatrical discourse, and to identify On his purposes.

Key words: Speech acts, pragmatics, dialogic implication, theatrical discourse, The communicative dimension

1.مقدمة:

يتميز الخطاب المسرحي ببنية منفردة من نوعها عن الأنواع الأدبية الأخرى، حيث اكتسب ذلك التميز من الآليات المسهمة في تشكيله، بدءا من كونه حبرا على ورقة إلى غاية تشكله حركة فوق خشبة، ورغم ذلك، فإنه لا يمكن الكلام عن طبيعة تلك الجمالية بصورة مجزأة، أو وفق رؤية مجتازة، بل ينبغي النظر إليه وفق صورة كلية ورؤية منسجمة.

يحاول الحطاب المسرحي الاستفادة من التحولات الطارئة على الدرسين اللغوي والنقدي، لتحقيق غايته وإبراز مكانة، ولهذا نجده يتشكل في بنية حوارية تشبه إلى حد بعيد البنية الحوارية للخطاب العادي، حيث تتهيكل فيه الأفعال الكلامية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تبرز في مستويات تعكس للقارئ أبعادا ثقافية ونفسية ومعرفية للخطاب البشري بصفة عامة، والخطاب العربي بصفة خاصة، وتعد نظرية أفعال الكلام هذه من أهم نتاجات الدرس التداولي، ومحورا بارزا من محاوره الكبرى، وتحولا منهجيا في البحث اللغوي وهذا يعني أن عملية التخاطب كثيرا ما تحمل معاني عديدة لا تنحصر فيما تدل عليه صيغتها الصورية، وإنما تؤطرها وتوجهها الظروف المحيطة بالخطاب من متكلمين وسياق ومقاصد وما إلى ذلك تداولية أفعال الكلام في الخطابات ومنها الخطاب المسرحي، ولعل هذا ما يدعو إلى الحديث عن مدى استجابة الخطاب المسرحي نصا وعرضا لتداولية أفعال الكلام المباشرة، وغير المباشرة، باعتبارها موضوعا جديرا بالبحث والمناقشة لحل الإشكالات، والإجابة على التساؤلات.

ومنه يمكن حصر الإشكالات التي أفرزها الاهتمام بالتداولية المسرحية، أين يمكن أن تنفتح على أداءات وأفعال منجزة وممسرحة.

كيف يمكن استعمال التداولية كوسيلة لدراسة النموذج المسرحي؟

وأي شكل من أشكال التداولية يمكن استغلاله في الخطاب المسرحي؟

2. مفهوم التداولية

لقد تعددت مفاهيم التداولية بتعدد زوايا النظر إليها، فعُرِفت بأنّها:

1.2 لغة:

جاء في لسان العرب كلمة **دول:** العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدولة، بالضم، في المال، والدولة، بالفتح في الحرب، الفعل، وفي حديث أشراط الساعة: إذا كان المغنم دولا، جمع دولة، بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاج: الدولة اسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل

والانتقال من حال إلى حال... كأنه كي لا يكون الفيء دولة أي متداولا (منظور، 1863، صفحة 450)، نستشف من خلال التعريف السابق أن التداولية تعني التحوّل والتناقل.

2.2 اصطلاحا:

ومن بين التعاريف التي نجدها تفرض نفسها في إثراء المنظومة المفاهيمية للدرس التداولي "أنها مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية" (صحراوي،2005، صفحة 85)، وفي ضوء هذا التعريف نستشف أن المهمة الأساسية التي تقوم عليها التداولية منوطة بإدراك وتفسير تلك لعلاقة القوية التي تجمع بين العلامات المستخدمة في الخطابات وبين مستعمليها في الإطارات التواصلية المختلفة باختلاف وتعدد السياقات والطبقات المقامية، وكذا البحث عن الطرق والاستراتيجيات الكفيلة بإنجاح الأقوال ودراسة الأسباب المؤدية لإفشال التواصل البناء الفعال.

إن هذا التعريف قد يقودنا بطريقة مباشرة لاستذكار تعريف الدكتور "**محمد عنابي**"، والذي يعتبر فيه "أن التداولية هي دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية، أي تداولها علميا، وعلاقة ذلك بمن يستخدمها، وهذا يعني أن السياق جاء بعدا جوهريا في التداولية ودخل في تعريفها" (الصراف، 2010،صفحة 125)، وتظهر جوانب التماهي والتعالق بين هذين التعريفين السابقين في تلك البوتقة التي تعنى بدراسة استعمال اللغة في سياق معين، الأمر الذي أدى بالدراسات التداولية إلى الأخذ بهذا العامل (السياق) وهي تتعامل مع شتى الخطابات، سواء تعلق الأمر بالبعد الإنتاجي للخطابات الذي لا يتهاون في إملاء معطيات سياقية لا مناص من التملص منها في عملية تشكيل الخطاب وبناءه، أم تعلق الأمر بالبعد التأويلي للخطابات من طرف المتلقين والمحللين اللغويين الذين ينتقون رؤاهم وإجراءاتهم باغترافهم من آليات النظرية التداولية التي تنظر إلى السياق بوصفه معطا جوهريا لابد من إدراجه في أي عملية باحثة عن المعنى.

وتكمن وظيفة التداولية في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل، المتلقي، والوضعية التبليغية، إن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة.

3. مصطلحات التداولية:

1.3 الأفعال الكلامية:

تعد اللغة في مجمل مفاهيمها منظومة من الاستعمالات وفق إنتاج المتكلم وهو ما يسمى بالقصدية وتشمل (الحالات الشعورية، الاعتقادات، الرغبات، المقاصد، والإدراكات وكذلك ضروب الحب والكره والمخاوف والآمال بما في موحيات العقل نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم) وانطلاقا من مفهوم التداولية المبني على أساس أنها نظرية تبحث في علم العلامات بمستعمليها متجاوزة بذلك اللغة إلى الإنجاز فإن مضمونها يحيلنا إلى الحديث عن الأفعال الكلامية لأنها تعكس الجانب المادي للتداولية فالفعل اللغوي "كل ملفوظ يقوم على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية لتحقق رغبة إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ومن ثم فهو فعل إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا أي إنجاز شيء ما" (سيرل، 2006، صفحة 240).

ويقسم أوستين الفعل الكلامي إلى ثلاث أقسام:

أ/فعل القول:

ويراد به إطلاق الفعل في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذي دلالة.

ب/الفعل المتضمن في القول:

ويقصد به الغرض الإنجازي للفعل أو الأفعال المنجزة حقيقة بحيث يلزم المتكلم نفسه أو غيره (متلقيه) بعمل شيء بواسطة أقواله كالوعد والتحذير والأمر والنهي، ويشكل الفعل الإنجازي الحقيقي أساس النظرية التداولية، لأنه يجسد الجانب التواصلي منها ويرتبط بالغرض أو القصد مما جعل فان ديك يزاوج بين الفعل الإنجازي والسيميائية "فاستعمال اللغة ليس عملا فرديا، بل عملية اجتماعية تتم من خلال تفاعل الأفراد فيما بينهم" (دايك، 2000، صفحة 50).

ج/الفعل الناتج عن القول:

وهو بدوره الناتج عن إرسال رسالة من الأفعال القولية المصحوبة بقوى إنجازية" فالتسبب في نشوب آثار في المشاعر والفكر، من أمثلة الآثار: الإقناع، التضليل والإرشاد" (صحراوي، 2005، صفحة 124)، ومما قدمه "سيرل"–فضلا عما جاء به أوستين أنه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وميز بين أربعة أقسام: فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي) الفعل القضيوي (الإحالي والجملي) الفعل الإنجازي والتأثيري.

2.3 متضمنات القول:

كل خطاب قد يحمل مقاصد غير تلك التي تبدو ظاهريا تلك المقاصد لا تفهم إلا من خلال معرفتها سياقيا فالكلام قد يحمل معاني عديدة متضمنة فيه تحدد بواسطة مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية للوصول إلى فهم الخطاب ينبغي أولا التغلغل في سياق المحادثة ونجاح عملية التواصل بين الطرفين.

وهذا المفهوم مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية متعلقة بقوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره (صحراوي، 2005، صفحة130) وقد قسمه ديكرو من درجتين هما:

أ/الافتراض المسبق:

وينطلق منه المتخاطبون فيه من معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة (...) ويرى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ففي التعليميات تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة منذ زمن طويل فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه أما مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت اسم التواصل السيء فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة الضروري لنجاح كل تواصل إنساني (صحراوي، 2005، صفحة 135).

ب/الاستلزام الحواري:

هو الظاهرة التي تنتج عند خرق مجموعة من القواعد نتيجة لذلك تظهر معان جديدة ومثال على ذلك: هناك مبدأ التعاون في الحوار بين المتكلم والمستمع، فلا ينبغي أن يقول الأول أكثر مما يلزم ولا ينبغي للثاني أن يؤول المقول بأكثر مما قصد المتكلم.

4. الأبعاد التداولية في مسرحية "بابا قدور الطماع لرشيد القسنطيني":

سنحاول الكشف عن الأبعاد التداولية في مسرحية "**بابا قدور الطماع لرشيد القسنطيني**" بواسطة البحث في الأفعال الكلامية انطلاقا من تقسيم (سيرل) كونه الأبسط والأنسب لدراسة المسرحيات الكوميدية التراثية، ثم نتناول كذلك متضمنات القول بحكم غلبتها على نص المسرحية.

1.4 الأفعال الكلامية:

تعددت الأفعال الكلامية في نص "بابا قدور الطماع" وهذا يوحي أن الكاتب يسعى للوصول إلى غايات متنوعة أهمها: الإثبات والتوجيه والتعبير والوعظ والإرشاد وقد جاءت الأفعال مباشرة تارة

وتلميحية تارة أخرى من خلال هيمنة العلامات اللفظية التي تكتسي بعدا ثقافيا مضمرا، فقد حملت المتلقي على الاقتناع وأثرت فيه وجذبت اهتمامه ومن بينها:

1.1.4 أفعال الإثبات:

تتمثل في التحديد، التأكيد والوصف ونجد منها على سبيل المثال الكاتب يستعمل الوصف الدقيق بغرض بث الضحك والفكاهة فها هو يشبه أحد أبطاله بإحدى الخضروات، مثلا على فوات الأوان للزواج: حيث يقول على لسان **مراد**:

«**مراد: كيفاش هذا اللي تدي واحد**

مزلوط بحالي

أنا شبت ويبست ورجعت قرنونة» (القسنطيني:، 2005، صفحة 20).

يثمن المقطع النصي الرغبة الملحة لشخصية "مراد" في الزواج، وهذا ما يعد تنبيه للجانب الفطري لفنسان الساعي للاستقرار من خلال الاعتماد على الشفرات اللغوية المبتورة دلاليا في الحوار النصي والذي يدفع بالمتلقي إلى استكمال الصورة الناقصة ليصل إلى فهم محتواها الأيقوني، وهنا يظهر تأثير المسكوت عنه في إثارة دافعية الزواج، وهذا ما زاد المقطع النصي جمالا أدبيا، وتصويرا أدبيا يشّد المتلقي.

2.1.4 أفعال التوجيه:

وهي تلك الأفعال التي تهدف إلى حمل شخص على القيام بأمر معين كالنهي والطلب ومنها قول حسن: «**حسن: قداش من مرة قلت لك ماتستهزاش بي، أنا رجل كبير عليك. الجسارة وضرب الناب ما نحبو لهاش...البارح الناس قاعدين برانية، وأنت، أنت ذاك الزواش حرامي. ذاك أبو فسيو ...طلع لك ربي هذا الزواش بين عينيك**؟» (القسنطيني، 2005، صفحة 55).

أما الأمر فنجد مثلا: حسن يقول: «**سكتنا يرحم والديك...وذرك احكي لنا على تونس راهي...قعت فيها سبع سنين**» (القسنطيني، 2005، صفحة 85)، وظّف الكاتب أسلوب الأمر من أجل التأثير في المتلقي وهذا ما يتماشى مع الدلالة المعنوية والنصح، والإرشاد، والتوجيه بشكل مباشر وواضح من أجل تحقيق فاعلية جمالية في النص المسرحي.

وما ورد عن النهي: فيقول خليل: «**غير أديه؟ وبالك ترده يا ذا حصلت فيه**» (القسنطيني، 2005، صفحة 110)، سّخر الكاتب العلامات التشكيلية لتكثيف دلالة النهي فجعله منفذا للإقناع بالإضافة إلى تحفيزه نحو المعاني المختلفة لأسلوب النهي، واستثارته عاطفيا ونفسيا.

3.1.4 الأفعال التعبيرية:

وهي التي تعبر عن مختلف الحالات النفسية التي تمر بها الشخصية الإنسانية، كالغضب مثلا: كغضب خليل من مراد في قوله: «**بركا...بركا طم خيرك...راني فهمتك جبتك باش تأخذ بنت عمك، وباش نترفهوا ونهربوا...، وراني نشوف فيك حبيتي تحصلنا...هذا الزواج نصبه**» (القسنطيني، 2005، صفحة 90)، صور الكاتب غضب "خليل" من "مراد" من خلال تغيب لفظة "غضب" واكتفى بالمناورة والإقناع وقد اختزل ذلك عبر الجملة المشفرة "بركا..بركا" التي تعبر عن تيمة السخط.

القلق: يعد من أهم العواطف الإنسانية والتي تعبر عن حالة معينة يستدعيها موقف ما، فقد يكون مصدر هذا القلق الخرص والاهتمام المبالغ فيه، وهذا ما يظهر في قول "خليل": «**آه يا ربي كاش نواسي مع اللي مايحبش يفهم. "ينتبه لزينب وحورية ويسمع وقع أقدامهما" أسكت ها هم جاوا؟**» (القسنطيني، 2005، صفحة 45)

4.1.4 الفعل الكلامي الجامع:

تحتوي المسرحية أحداث متنوعة منها: الرغبة في كسب الأموال عن طريق الشجع والاستغلال عبر الزواج والسفر من تركيا إلى البويرة، وتهدف المسرحية لمعالجة انتشار الرذيلة والأخلاق الفاسدة التي انتشرت في المجتمع الجزائري، وقد حاول الكاتب الكشف عن الواقع المرير بجلاء ووضوح والمستور المكتنف والتعبير عنه بقالب كوميدي من خلال تمظهرات أفعال وأقوال ومواقف تشخصها ذوات إنسانية، وما يمكن أن تتبعها من لواحق دلالية متعلقة، وهذا من باب توكيد مدى قدرة الكاتب على تحقيق المراد الذي يسعى إليه.

2.4 متضمنات القول:

رغم غلبة مباشرية الخطاب على النص المسرحي، إلا أنه لم يخل من متضمنات القول التي جعلته يحقق تفاعلا جيدا حيث نجد أن البطل "قدور" يخفي بين طيات كلامه رغبته وطمعه في مال أخيه، وكذلك شجع خليل من خلال قوله:

«**قلت لك اتمولك علي كي نكون وحدي؟...**

أتمولك مع الناس...هكذاك باش توري روحك اللي وليد المرفهين...ها هو كي بحال البارح أنا نغمز فيك و أنت تزيد...باق تحكي تحكي، تحكي، حتى قريب فاقو...هذاك الوقت كان يلزم لك التموليك والهدرة في قانيها.

و أنت غير تبق الحقيقة ظلمت روحي اللي جبتك وهذا ما كان» (القسنطيني، 2005، صفحة 15).

يفضي المقطع النصي إلى تغّيب فعل الطمع المباشر وترك المجال مفتوحاً لذكاء القارئ لاستكمال رسم شخصية "قدور" في ذهنه، وهذا ما يمثل إشارة تداولية على تمسكه بخطة استيلائه على أموال أخيه.

5. خاتمة:

لقد أفضت هذه الدراسة مجموعة من النتائج، أهمها:

يقبل الخطاب المسرحي كل القراءات ويتكيف مع كل الحقول المعرفية، حيث نجد أن كل المناهج تجد ضالتها فيه، باعتباره مادة غزيرة لا تبخل على أي ناقد أو منهج نقدي في تلبية حاجته المعرفية.

تستجيب النصوص المسرحية الجزائرية للنظريات التداولية كون هذه النظرية تشمل كل الجوانب، فهي مزيج بين علم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات.

تعد مسرحية "بابا قدور الطماع" أرضية خصبة لتطبيق مبادئ النظرية التداولية، كونها تجسد اللغة الواقعية.

تشتغل التداولية على اللغة بطريقة مغايرة لم جات به النظريات السابقة حيث تركز على اللغة أثناء الاستعمال.

تنوعت الأفعال التعبيرية من غضب وقلق وغيرها، واختلف معها الغرض الإنجازي الهادف إلى تعديل السلوكيات الإنسانية، وتخفيف الانفعالات عبر تداولية تأويلية.

المراجع:

1.القسنطيني، رشيد .(2005) .,بابا قدور الطماع. (ط1)، الجزائر :منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية.

2.سيرل، جون .(2006)، اللغة والعقل والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد غانمي .بيروت، لبنان :منشورات الاختلاف.

3.علي محمود: حجي الصراف. (2010). في البراغماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي. (ط1)، القاهرة: مكتبة الآداب.

4.فان دايك. (2000). النص والسياق-استقصاءات في الخطاب الدلالي. ترجمة: عبد القادر قنيني، تونس: إفريقيا الشرق.

5.صحراوي، مسعود. (2005). التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. (ط1)، بيروت: دار الطبيعة.

6.محمد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور. (1863). لسان العرب، (مج 5، ط1). بيروت، لبنان: دار صادر للطباعة والنشر.